الأصالة العلمية في كتاب "التفسير والمفسرون" للذهبي وقيمته العلمية

حسين أحمد الزعبي[i]
أ.د. زكريا علي الخضر[ii]

تاريخ الاستلام
2023/10/29
تاريخ الانتهاء
2024/5/15

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان الأصالة العلمية لكتاب "التفسير والمفسرون" والإضافة المعرفية التي قدمها لدى بحثه في أصول التفسير ومناهج المفسرين، وبيان النقلة النوعية التي أحدثها في دراسة مناهج المفسرين، كما ركز البحث على بيان جوانب الأصالة العلمية لهذا الكتاب، وما حققه من الكفاية المعرفية في حقل التخصص العلمي الدقيق في التفسير. وقد أظهر البحث القيمة العلمية والمكانة التي تبوأها هذا الكتاب محل الدراسة، ضمن معايير تبين هذه المكانة العلمية التي توفرت لهذا المصنف بالأدلة والشواهد العلمية الدالة على ذلك.

الكلمات المفتاحية: الأصالة العلمية، التفسير والمفسرون، الذهبي، مناهج المفسرين.

[i] جامعة اليرموك
[ii] جامعة اليرموك

Scientific Originality in the Book "Interpretation and Interpreters" of the Thahabi and its Scientific Value

Abstract

This research aims to demonstrate the scientific originality of the book" Interpretation and interpreters", and the addition of knowledge that he provided during his research on the origins of interpretation and the methods of interpreters, and to demonstrate the qualitative shift that he made in the study of interpreters and methods'. The research also focused on the statement of the aspects of the scientific originality of this book and the cognitive sufficiency he achieved in the field of strict scientific specialization in interpretation. The research has shown the scientific value and the status of this book under study; within the criteria that indicate this scientific status, which was provided for this work by scientific evidence and evidence indicating that.

Keywords: scientific originality, interpretation and interpreters, Thahabi, methods of interpreters.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فلا يزال علماء هذا الدين الحنيف، يحملون ميراث النبوة، بالقلم واللسان؛ يذبون بها عن حياض هذا الدين، ويبينون أحكامه، وييسرون فهمه وإدراكه.

وكان من هذه العلوم؛ علم التفسير، الذي حظي بعناية الكثير من العلماء في الماضي والحاضر، من المتقدمين والمتأخرين، فبينوا نشأته، ومراحله، وأصوله، وضوابطه. وصنفوا علماءه، وأبرزوا مناهجهم.

وكان من هؤلاء العلماء، الشيخ محمد حسين الذهبي، الذي اهتم بعلم التفسير، دراسة، وتأليفاً، وتدقيقاً، وبياناً.

جاءت هذه الدراسة، في بيان أصالة كتاب "التفسير والمفسرون" العلمية ومزاياه، ثم بيان القيمة المعرفية، وقيمته العلمية، ومن هنا كانت هذه الدراسة بعنوان: "الأصالة العلمية في كتاب "التفسير والمفسرون" للذهبي وقيمته العلمية".

أسئلة الدراسة:

تتحدد أسئلة الدراسة في الإجابة عن سؤال رئيس هو: ما الأصالة العلمية في كتاب "التفسير والمفسرون" وما قيمته العلمية؟

ويتفرع عنه الأسئلة التالية:

1. ما النقاط البارزة التي تظهر الأصالة العلمية والمعرفية في كتاب الذهبي؟
2. ما قيمة كتاب "التفسير والمفسرون" العلمية؟
3. ما أثر كتاب "التفسير والمفسرون" في الدراسات التفسيرية؟

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

- إبراز النقاط التي تظهر الأصالة العلمية والمعرفية في كتاب الذهبي.
- بيان القيمة العلمية لكتاب "التفسير والمفسرون".
- إظهار أثر "التفسير والمفسرون" في الدراسات المعاصرة المتعلقة بمناهج المفسرين.

منهج الدراسة

انتهجت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، بتتبع أقوال الباحثين في كتاب "التفسير والمفسرون"، ثم المنهج التحليلي النقدي، بتحليل أقوالهم وأقوال الذهبي ونقدها، وتمييزها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري لم أجد -بحسب وسع - دراسة موافقة كلياً لعنوان دراستي، لكن وجدت بعض الدراسات ذات الصلة بموضوعها العام، وليس بموضوعها الدقيق، فمن ذلك:

- البلالي، في كتابه: "المختصر المصون من كتاب التفسير والمفسرون"، حيث يتحدث عن هذه الدراسة باختصار ([iii]).

([iii]) البلالي، عبد الحميد، المختصر المصون من كتاب التفسير والمفسرون، دار الدعوة الكويت، ط1، 1985م.

- أماني حكمي، "خلاصة مناهج المفسرين في اختصار وترتيب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي"([iv]).
- محمد أبو زيد، "مناهج المفسرين وهو مختصر التفسير والمفسرون"([v]).

وتختلف هذه الدراسات عن دراستي، بأنها كانت مجرد اختصار وتهذيب لكتاب الذهبي.

المبحث الأول: الأصالة العلمية في كتاب "التفسير والمفسرون"

تمهيد: تعريف الأصالة لغةً واصطلاحاً

لغة:

أصل: الأصل: أسفل كل شيءٍ وجمعه أُصول لا يكسر على غير ذلك. وأصُل الشيءُ: صار ذا أصل؛ قال أُمية الهذلي:

وما الشغل إلا أنّني متهيب ... لعرضك، ما لم تجعل الشيء يأْصل

وكذلك تأصل، ويقال: استأصلت هذه الشجرة أي ثبت أصلها. وأصَل الشيءَ: قتله علماً فعرف أصله. ويقال: إن النخل بأرضنا لأصيل أي هو به لايزال ولا يفنى. ورجل أصيل: له أصل. ورأي أصيل: له أصل. ورجل أصيل: ثابت الرأي عاقل. وقد أصُل أصالة، مثل ضخُم ضخامة، وفلان أصيل الرأي وقد أصل رأيه أصالة، وإنه لأصيل الرأي والعقل. ومجد أصيل أي ذو أصالة ([vi]).

وفي المعجم الوسيط جاء:

أصل الشّيء جعل له أصلا ثابتا يبنى عليه، (استأصل) الشّيء ثبت أَصله وقوي والشّيْء قلعه بأَصله.

(الأَصالة) في الرّأْي جودته وفي الأسلوب ابتكاره وفي النّسب عراقته ([vii]).

اصطلاحاً:

- عرفها بعض العلماء: "الدراسة الجديدة والمفيدة التي تضيف ما لم يكن موجوداً؛ كلياً أو جزئيا"([viii]).

([iv]) حكمي، أماني بنت عبد الله، خلاصة مناهج المفسرين في اختصار وترتيب التفسير والمفسرون للدكتور محمد بن حسين الذهبي، 2018م جامعة ابها.

(3) أبو زيد، محمد أبو زيد، مناهج المفسرين وهو مختصر التفسير والمفسرون، الجيل الجديد، صنعاء اليمن، ط4 (1423،2002).

([vi]) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ (11/ 16).

([vii]) مصطفى إبراهيم، الزيات أحمد، النجار محمد، مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعجم الوسيط، دار الدعوة (1/ 20).

([viii]) الجبوري، يحيى وهيب، منهج البحث وتحقيق النصوص، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1،1993، ص (30).

- وقال بعضهم: "هي ابتكار سياقات جديدة للبحث العلمي، أو توظيف سياق سابق في سياق جديد لم يدرسه أحد من قبل، وبذلك يكون جهد الباحث في كل فصل من دراسته هو إضافة جديدة تثري مجال تخصصه أو عين ناقدة للأعمال السابقة المشابهة ([ix]).

وقد تعرض علماء السلف لهذا المعنى كما ذكر ابن العربي إذ يقول: "ولا ينبغي لحصيف يتصدى للتصنيف أن يعدل عن غرضين؛ إما أن يخترع معنىً أو يبتدع وصفاً ومتناً"([x]).

لذلك نستطيع أن نقول: إن الأصالة العلمية هي الإتيان بالجديد من حيث؛ توضيح الغامض، وإتمام الناقص، وتصحيح الخطأ، وجمع المشتت، وترتيب المنثور، واختصار المطول، وابتكار الجديد.

وسنتناول جوانب هذه الأصالة العلمية والتي تمثلت بالمطالب الآتية:

المطلب الأول: الموسوعية والشمول لنطاق البحث في المادة العلمية

إن اتساع نطاق البحث في "التفسير والمفسرون" بحيث قصد صاحبه فيه استيعاب مسائل هذا العلم، والوقوف على ما تكلم في أصوله وأطرافه على وجه من الشمول، والتوسع في مادته العلمية؛ لهو ميزة علمية تحقق الكفاءة المعرفية، والأصالة العلمية في حقل الدراسة التي أفرد لها هذا الكتاب استقلالاً.

وهو أوفى كتاب بأكثر مسائل هذا الفن على حد تعبير الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة، إذ يقول: "قد سبقت هذه الدراسة بدراسات أخرى عديدة؛ أوعبها وأشهرها فيما وقفنا على طبعه ونشره، ورأيناه وقرأناه، كما رآه كثيرون غيرنا، كتاب أستاذنا الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي- رحمه الله- "التفسير والمفسرون"([xi]).

ويقول الباحث عبد الحميد البلالي في مقدمة "المختصر المصون": "وسبب اختياري لهذا الكتاب الذي ألفه الشيخ محمد الذهبي هو أنني لم أر من الكتب الحديثة التي تكلمت عن هذا العلم كتاباً مفصلاً كاملاً مثل هذا الكتاب"([xii]).

أما الدكتور عبد الرحمن بو درع فيقول: "كتاب التفسير والمفسرون للأستاذ محمد الذهبي الذي استعرض التراث التفسيري بمذاهبه ومناهجه وطرقه في التأليف، ووصل الكلام عن ألوان التفسير في العصر الحديث كاللون العلمي، واللون المذهبي، واللون الإلحادي، واللون الأدبي، واللون الإجتماعي"([xiii]). ويؤكد الدكتور ناصر الدوسري، محقق كتاب "أحكام القرآن"، لبكر

([ix]) المرجع السابق ص30، وينظر تيسير، محمد تيسير مؤسسة المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، (2023/20/05)، (https://blog.ajsrp.com/?p=5533).

([x]) ابن العربي، الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، دار العلم للجميع، 1306هـ (4/1)

([xi]) خليفة، إبراهيم عبد الرحمن، دراسات في مناهج المفسرين، الأزهر1979م، المقدمة، ص(ج).

([xii]) البلالي، عبد الحميد، المختصر المصون، ص5.

([xiii]) بو درع، عبد الرحمن، الخطاب القرآني ومناهج التأويل، مركز الدراسات القرانية المملكة المغربية ط1،2014، ص20.

بن العلاء هذه الحقيقة فيقول: "من أوسع من كتب عن هذه المرحلة في التفسير، وبين مراحلها وميز صفاتها وسماتها محمد حسين الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون"([xiv]).
وإذا أردنا أن نقف على موسوعية العمل الذي قام به الشيخ الذهبي وشمولية دراسته في كتابه موضع البحث، يظهر لنا أن هذا يتأتى من أوجه:
أولاً: استيعاب المادة النظرية واستيفاء البحث فيها جملة وتفصيلاً؛ بالقدر الذي أتيح له، استقراءً، وتقصياً ودراسة.
عقد الدكتور الذهبي فصولاً عِدّة فيما يتصل بالمادة النظرية المتعلقة بالتفسير وأصوله ونشأته، وقد وقف مع كل فصل ومبحث في ذلك على توسع في عرض قضاياه ومناقشة ما جرى فيه من خلاف أو وجهات نظر تستحق البحث أو المراجعة، وأرجع الأمر في ذلك إلى أسبابٍ وعلل كانت وراء هذه المباحثات العلمية، محاولاً بذلك استكمال أطراف الموضوع والإتيان عليه من جميع مسالك البحث؛ تجلية للأمر، وإزالة اللُّبس فيه، أو فصلاً لما كان موضع نزاع فيه، أو تقريباً لوجهات النظر وجمعاً بين الآراء.
ومن الأمثلة على ذلك:
ما نراه في عرضه لمعنى التفسير والتأويل وبيان العلاقة بينهما، وبيان الفرق بينهما حيث يقول: "وهذه هي أقوال العلماء أبسطها بين يدي القارئ؛ ليقف على مبلغ هذا الإختلاف، وليخلص هو برأي في المسألة يوافق ذوقه العلمي ويرضيه"([xv]).
وقد مال إلى رأي بعد عرض تفصيلي:
"والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال: هو أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية"([xvi])، ويسوق كلام الزركشي:
"وكان السبب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل، والتمييز بين المنقول والمستنبط؛ ليحيل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط"([xvii]).
ويتوسع الدكتور الذهبي في طرح مباحث التفسير النظرية دراسة وتفصيلاً؛ نجده يتوسع في تعليل ظواهر نشأت في الفهم والتأويل لكتاب الله تعالى من نحو بيان أسباب تفاوت الصحابة -رضي الله عنهم- في فهم القرآن، حيث وقف -بناءً على استقراء وتتبع لمروياتهم في كتب التفسير- على أن مرد تفاوتهم هذا في الفهم للقرآن إلى تفاوتهم في معرفة اللغة وسعة اطلاعهم فيها، وإلى ملازمتهم للنبي-ﷺ- ومعرفة أسباب النزول، وملابسات الأحوال في التنزيل، وقدراتهم الذاتية، ومواهبهم العقلية ([xviii]).

([xiv]) الدوسري، ناصر محمد، الماجد، ناصر محمد، أحكام القرآن لبكر بن العلاء المالكي، رسالة دكتوراة، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1426هـ، ص124.

([xv]) الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة،1976 م، (19/1).

([xvi]) التفسير والمفسرون (1/ 18).

([xvii]) التفسير والمفسرون (1/ 18)، وينظر الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية ط1 1408 هـ (2 /172).

([xviii]) ينظر التفسيروالمفسرون(1/34-36).

وتعرض لمناقشة مقالة ابن خلدون في مقدمته؛ حيث ذكر فيها "أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"([xix]).
وفي عرضه لمسألة المقدار الذي بينه النبي -ﷺ- لأصحابه؛ بعد أن عرض لرأي الفريقين، فريق يرى أن النبي -ﷺ- فسر القرآن كله، وفريق يرى أنه فسر النادر القليل ([xx]).
وعلى إثر ما أورده من أدلة لكل منهم، بين أن الفريقين على طرفي نقيض، وما استند إليه كل فريق من الأدلة يمكن مناقشته بما يجعله لا ينهض حجة على المدَّعى، ثم ناقش أدلة كل فريق ([xxi]).
ثم خلص برأي يتوسط بين الفريقين؛ ذلكم هو أن النبي -ﷺ- بيّن الكثير من معاني القرآن لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحابة، ولم يبين كل معاني القرآن، ثم أقام الدليل على ذلك من الأثر ومن الواقع؛ إذ إنّ وقوع الاختلاف بين الصحابة - رضي الله عنهم - في تأويل بعض الآيات دلالة على أن النبي -ﷺ - لم يفسر كل معاني القرآن([xxii]).
وكذلك عرض ما دار من خلاف بين المجيزين والمانعين للتفسير بالرأي، وناقش المانعين المناقشة المنطقية المستندة للدليل النقلي والعقلي، وبين أن الخلاف بين الفريقين لفظي لا حقيقي، فيحمل كلام المجيزين على القسم الجائز المحمود، ويحمل كلام المانعين على القسم المذموم غير الجائز، الذي لا يوافق الأدلة الشرعية وغير مستوف شرائط التفسير ([xxiii]).
ومما توسع فيه بعد الاستقراء والتعقب لكتب التفسير بالرأي، منشأ الخطأ في التفسير بالرأي، وقد بين أن ذلك مرده إلى اعتقاد المفسرين من المعاني، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذي يعتقده، وأن يفسر القرآن مراعياً مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به الناطق بالعربية من غير نظر إلى السياق وما يصلح للخطاب ([xxiv]). وقد أحال في ذلك إلى كلام ابن تيمية في "مقدمة في أصول التفسير"([xxv]).
ومما تلحظه كذلك مناقشته الواسعة للتفسير العلمي بين الجواز والمنع، وما وقف عليه من أدلة واختيار وميل علمي وأخذه بكلام الشاطبي ([xxvi])، وتحديد موقفه منه وفق ما يراه دليلاً معتبراً ([xxvii]).

([xix]) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد أبو زيد، مقدمة ابن خلدون دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ- 1988م (553/1).

([xx]) ينظر التفسير والمفسرون،(39/1).

([xxi]) المرجع السابق (48/1-53).

([xxii]) ينظر المرجع السابق (53/1-54).

([xxiii]) ينظر التفسير والمفسرون (256/1-265).

([xxiv]) ينظر التفسير والمفسرون (281/1-282).

([xxv]) ينظر ابن تيمية، مقدمة في اصول التفسير (100-108).

([xxvi]) ينظر الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ- 1997م (127/2).

([xxvii]) ينظر التفسير والمفسرون، (359/2).

ثانياً: عدم الاقتصار على حقبة زمنية في التفسير دون أخرى، وكذلك عدم استبعاد اتجاه دون آخر في التفسير دراسة وبحثاً.

وهذه ميزة لموسوعية هذا العمل الضخم الذي اضطلع به الدكتور الذهبي، حيث عنّى نفسه كثيراً مهمة البحث في أنواع التفسير على تعاقب أزمانها وتنوع مشاربها، ليقف القارئ على مراحل التفسير وتطور البحث فيه، وتعدد المناهج والاتجاهات في فهم القرآن وتأويله ([xxviii]).

ولا شك أن هذا جهد ليس بالأمر السهل بحثاً ودراسة، ذلك أن التنقل بين كتب التراث التفسيري زماناً وموضوعاً يتقاضى من الباحث قدرة على الاستيعاب وجلداً في العمل الدؤوب، لا سيما عندما لا يتوفر ما يبتغيه الباحث إلا بشق الأنفس، أو يكون على غاية من الندرة، أو مما كان الظفر به عسير المنال، خصوصاً إذا كان الكتاب مخطوطاً لم يكشف عن محتواه من قبل، وما أكثر ذلك في عمل الذهبي-رحمه الله-. وتلك من عقبات البحث ومشكلاته الكؤود، ناهيك عن توفر أجزاء معينة من الكتاب، أو تلف في المكتوب به أو المكتوب عليه، أو وجود أخطاء من النساخ، من تصحيف أو تحريف([xxix])، أو وجود نسخ متضاربة متناقضة؛ مما يستلزم معرفة واسعة بأسلوب المؤلف، ولغة عصره، ومعرفة تلاميذه، ليعرف من اعتمد في نقل كتابه([xxx])، فذاك مما يضاعف من جهد الباحث في محاولته لإعطاء التصور الواضح عما هو بصدد بيانه في بحثه وجهده العلمي.

ولدى الإطلاع والنظر في موسوعية عمل الدكتور الذهبي في كتابه من إعطاء التصور الشمولي حول مناهج المفسرين زماناً وموضوعاً واتجاهاً، نلحظ أنه عرض لمنهج السلف، وبين أسباب الاختلاف فيه ([xxxi])، وتوسع في عرض المدارس التفسيرية زمن الصحابة ([xxxii]). ثم اتجه لبيان مناهج المفسرين في التفسير بالمأثور من لدن ابن جرير المتوفى 310هـ، حتى السيوطي 911هـ.

وهكذا يلحظ تاريخ التفسير والأزمنة المتعاقبة فيه، ليكون القارئ على بينة من أمره فيما يتصل بحركة التفسير وتطورها، وهكذا في أنماط التفسير واتجاهاته، سواء كان بالمأثور أو الرأي. وقد قسم الرأي إلى قسمين: المحمود والمذموم، وعرض للمصنفات في كل منهما، فضلاً عن مشارب التفسير وتنوع اتجاهاتها كما هو الحال في التفسير الفقهي ([xxxiii])؛ حيث قدم عرضاً علمياً لما صنف فيه وفق المذاهب الفقهية وتتبعها زماناً ومنهجاً.

ثالثاً: تقريب المادة العلمية للمتلقي ايجازاً وتسهيلاً مع حسن استيعاب المادة العلمية وهضمها على مستوى المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، والمنهج النقدي.

([xxviii]) ينظر المرجع السابق، (8/1).

([xxix]) ينظر بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات الكويت 1977، ص (188– 190)، وانظر تحقيق النسخة الفريدة للأستاذ يوسف السناري، جامعة الملك سعود ط 1، 2018م، ص(24–26).

([xxx]) ينظر العمري، أكرم ضياء، مناهج البحث وتحقيق التراث، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط1، 1416هـ، ص132.

([xxxi]) ينظر التفسير والمفسرون، (98/1).

([xxxii]) ينظر التفسير والمفسرون، (1 /50–74).

([xxxiii]) ينظر المرجع السابق (2/319–348).

إن هضم المادة العلمية ووعيها واستيعابها يوقفنا على القدرات، والمواهب، والطاقات العلمية، التي يتمتع بها الدكتور الذهبي، وقد كشف الذهبي عن طرف من هذا في مقدمته إذ قال:
"ورجوت أيضاً أن يكون لعشاق التفسير مِن وراء هذا المجهود موسوعة تكشف لهم عن مناهج أشهر المفسِّرين وطرائقهم التي يسيرون عليها في شرحهم لكتاب الله تعالى، ليكون مَن يريد أن يتصفح تفسيراً منها على بصيرة من الكتاب الذي يريد أن يقرأه، وعلى بيِّنةٍ من لونه ومنهجه، حتى لا يغتر بباطل أو ينخدع بسراب"([xxxiv]).
فمثلاً عند حديثه عن تفسير النسفي يقول:
"قرأتُ في هذا التفسير فوجدته كما قلت آنفاً موجز العبارة سهل المأخذ، مختصراً من تفسير الكشاف، جامعاً لمحاسنه، متحاشياً لمساوئه، ومن تفسير البيضاوى أيضاً حتى إنه ليأخذ عبارته بنصها أو قريباً منه ويضمنها تفسيره"([xxxv]). وفي حديثه عن السراج المنير للخطيب الشربيني يقول: "وقد قرأت في هذا التفسير فوجدته تفسيراً سهل المأخذ ممتع العبارة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، نقل فيه صاحبه بعض تفسيرات مأثورة عن السلف، كما أنه يذكر أحياناً أقوال من سبقه من المفسرين كالزمخشري والبيضاوي والبغوي، وقد يوجه ما يذكره من هذه الأقوال ويرتضيها وقد يناقشها ويردها"([xxxvi]).
ومن الأمثلة الدالة على ذلك، ما تراه في حديثه عن قواعد الاعتزال لدى المعتزلة، وملاحظة ذلك في تفاسيرهم كما هو الحال عند القاضي عبد الجبار والزمخشري حيث يقول: "ومن المعلوم أن هذه الأصول لا تتفق ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة، الذين يعتبرون أهم خصومهم، لهذا كان من الضروري لهذه الفِرْقة -فِرْقة المعتزلة- في سبيل مكافحة خصومها، أن تُقيم مذهبها وتُدعِّم تعاليمها على أُسس دينية من القرآن، وكان لا بد لها أيضاً أن ترد الحجج القرآنية لهؤلاء الخصوم، وتضعف من قوتها، وسبيل ذلك كله هو النظر إلى القرآن أولاً من خلال عقيدتهم، ثم إخضاعهم عبارات القرآن لآرائهم التي يقولون بها، وتفسيرهم لها تفسيراً يتفق مع نحلتهم وعقيدتهم"([xxxvii]).
ويقول في نهاية الكلام على تفسير الطبري: "وبعد؛ فأحسب أني قد أفضت في الكلام عن هذا التفسير وتوسعت"([xxxviii])، وتفسير الطبري سفر عظيم - كما هو معلوم- يحتاج إلى بذل مجهود كبير لدراسته والحكم عليه. ومما يجلي هذه القضية بوضوح موقف يثبته الدكتور محمد رجب بيومي في حواره مع الشيخ الذهبي فيقول: "وقد قرأت أن ابن عطية يسهم في هذا المجال بنصيب وافر، وأنه يقرن بالزمخشري باتجاهه البياني! فصمت الشيخ قليلا، وقال: الذي أعرفه

([xxxiv]) التفسير والمفسرون، (1/ 28).
([xxxv]) المرجع السابق (217/1). وينظر النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت 710هـ) تفسير النسفي دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
([xxxvi]) التفسير والمفسرون، (242/1).
([xxxvii]) التفسير والمفسرون، (2/ 264-261).
([xxxviii]) المرجع السابق، (224/1).

من قراءتي لبعض أجزاء التفسير المخطوطة بدار الكتب، أن الناحية البلاغية فيه ضعيفة جداً، وأنه لا يقرن بالزمخشري في هذا المجال"([xxxix]).
ويقول الذهبي في معرض كلامه عن موقف الإمامية (الإثنا عشرية) من تفسير القرآن الكريم: "هذا كان طبيعياً، أن يقف الإمامية من الآيات التي تتعلق بالفقه وأصوله موقفاً فيه تعصب وتعسف؛ حتى يستطيعوا أن يخضعوا النصوص ويجعلوها أدلة لآرائهم ومذاهبهم"([xl]).
نلحظ من الأمثلة الكثيرة التي زخر بها كتاب الذهبي -وأوردنا بعضاً منها- المنهج الدقيق في التحليل والنقد؛ مما يؤكد على ماآتى الله هذا الرجل من مواهب وطاقات في تقريب المادة العلمية للقارئ بعد حسن هضم واستيعاب.
ولو استطلعنا مقالات المختصين في هذا العلم لوجدنا فيها شبه إجماع على الإقرار بشمولية هذا الكتاب وتوسعه في طرح موضوعات هذا العلم؛ مما يؤكد أصالة الكتاب العلمية، ليكون أكثر الكتب وفاءً بمسائل هذا العلم، وإفراداً لها بالبحث كما ذكر ذلك الدكتور إبراهيم خليفة رحمه الله ([xli]).
إن كل من يقرأ كتاب "التفسير والمفسرون" يلحظ المهمة العظيمة التي اضطلع بها الشيخ الذهبي والمادة الواسعة التي درسها واطلع عليها، فهو لم يكتف بالمطبوع؛ بل تعداه إلى المخطوط المودع في مكتبات الأزهر وغيرها، يقول الدكتور محمد عبد الرحمن آل الشيخ: "ويعد الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله واحداً من علماء المسلمين الذين تخصصوا في التفسير وعلومه، فعاش مع الأولين والآخرين من خلال قراءته لكتبهم المطبوعة والمخطوطة"([xlii]).
المطلب الثاني: السبق العلمي والأولية الزمانية والموضوعية
سبق علماء الذهبي في الإلماح إلى أصول التفسير، والإشارة إلى وصف بعض كتب التفسير أو نقدها على وجه العموم، كما يلحظ في "مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية"، وكتاب "البرهان" للزركشي و"الإتقان" و"طبقات المفسرين" للسيوطي، وتلميذه الداودي، وبعض الكتب التي عنيت بتاريخ العلوم، مثل: "كشف الظنون" لحاجي خليفة، و"مفتاح السعادة" لطاش كبري زادة.
غير أن هذه الجهود كان فيها من الإلمام والإشارة إلى الجانب النقدي والوصفي ما يحتاج من القارئ إلى مزيد من البحث، فهو غير كافٍ في تحقيق الفكرة العلمية حول مناهج المفسرين بالمنهج التفصيلي الذي يقرب المصنفات للقارئين، من هنا كان كتاب "التفسير والمفسرون" للذهبي له أولية زمانية وأولية موضوعية في هذا الباب؛ إذ إنّ الأولية الزمانية تعني أنه لم يسبق لهذا العمل الموسوعي التحليلي، يقول الدكتور فضل عباس: "يعد أول كتاب عن تاريخ التفسير ومذاهب المفسرين"([xliii]).

([xxxix]) البيومي، محمد رجب، من أعلام العصر الدار المصرية اللبنانية 1417، ص80.
([xl]) التفسير والمفسرون، (22/2).
([xli]) ينظر خليفة، إبراهيم عبد الرحمن، دراسات في مناهج المفسرين، ص7.
([xlii]) آل الشيخ، محمد عبد الرحمن، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، ع15، ص53.
([xliii]) عباس، فضل حسن، التفسير، أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنديس، ط1، 2005 م، ص17.

والأولية الموضوعية من حيث جمع المادة العلمية المتصلة بالتفسير أصولاً ومنهجاً، وما يتعلق بذلك من قضايا استدعتها طبيعة البحث في مناهج المفسرين.
ومما يبين سبق الدكتور الذهبي في تناول الموضوعات العلمية في كتابه "التفسير والمفسرون" ما قام به من وصف وبيان لمميزات تفسير الصحابة والتابعين بالقدر الذي أتيح له من الاطلاع على المادة العلمية من خلال كتب الآثار والتفسير بالمأثور، وإن كان في كلامه مالا يخلو من نقاش في بعض ما قرره ووصل إليه، إلا أن هذا الوصف وبيان ميزة تفسير تلك الأعصر لم يسبق إليه ولم يبحث بهذه الطريقة، ولم يرصد أحد قبله ما وصل إليه من نتائج وملاحظات جامعة ومحللة؛ ليدرك من خلالها القيمة العلمية لما التفت اليه الدكتور الذهبي وما نبه عليه[xliv].
وقد أقر كثير من الباحثين للذهبي بهذا السبق العلمي وأثبتوا ذلك في أبحاثهم مثل البيومي [xlv]، والطرهوني [xlvi] والشهري [xlvii] وخليفة [xlviii] وغيرهم.
المطلب الثالث: التأريخ لعلم التفسير
تتبع المسيرة العلمية لحركة التفسير تاريخياً من نشأتها إلى العصر الحديث، استدعى هذا الذهبي لمراجعة كتب التراث ودراستها، مثل: وفيات الأعيان، والفهرست لابن النديم وغيرها.
ولم يقطع الذهبي برأي فيما يتصل بأول كتاب صنف في التفسير؛ إذ قال تحت عنوان: ليس من السهل معرفة أول من دون تفسير القرآن كله مرتباً: "هذا ولا نستطيع أن نعين بالضبط المفسر الأول الذي فسر القران آية آية ودونه على التتابع حسب ترتيب المصحف"[xlix]. ومما أوقفه عند هذا الحد أنه عندما نقل قولاً لابن النديم في الفهرست [l]؛ أن ثعلب كان السبب في إملاء كتاب الفراء في المعاني، حيث طلب منه أن يجمع له أصولاً أو يجعل ذلك في كتاب يرجع إليه ففعل ذلك، وقال ثعلب:
"لم يعمل أحد قبله مثله ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه"[li].
هذا النقل عن ابن النديم لا يفهم منه أن من تقدم الفراء من المفسرين كانوا يقتصرون على دراسة

([xliv]) ينظر التفسير والمفسرون (1/97-98)، ينظر ما وقع عليه الذهبي من ميزات لتفسير الصحابة والتابعين.
([xlv]) ينظر البيومي، من أعلام العصر، ص80.
([xlvi]) ينظر الطرهوني، محمد رزق، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، (رسالة دكتوراة)، دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ (12/1).
([xlvii]) ينظر الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، ملتقى أهل التفسير. تعريف بكتاب (التفسير والمفسرون) مقالة على النت.
([xlviii]) انظر خليفة، دراسات في مناهج المفسرين في المقدمة، ص(ج).
([xlix]) التفسير والمفسرون، (142/1).
([l]) ينظر المرجع السابق، ص99.
([li]) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي (ت ٤٣٨هـ) الفهرست، دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية 1417 هـ - 1997م، ص91، وينظر الخولي، أمين، التفسير معالم حياته منهجه اليوم ص31 هامش.

المشكل فقط؛ لأن عبارة ابن النديم غير قاطعة في هذا ([lii]).
وما ذكره الطبري أن مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله ([liii]).
فهذه الرواية تشعر عند الذهبي أنها كانت غير قاطعة أن استيفاء التفسير لسور القرآن وآياته كان عملاً مبكراً لم يتأخر إلى القرن الثاني وأوائل الثالث ([liv]).
ويقرر الذهبي أن قوة اتصال القرآن بالحياة الإسلامية وشدة عناية القوم بالأخذ بالأحكام وغيرها من آيات القرآن وحاجتهم الملحة في ذلك يدعو للقول: إن الفراء لم يسبق إلى هذا الإستيفاء والتقصي بل هو مسبوق بذلك، وأنه لا سبيل لتعيين من سبق إلى هذا العمل على وجه التحقيق، ويرى أنه لو وقع لنا كل ما كتب في التفسير من بداية التدوين لكان بالامكان تسمية المفسر الأول الذي دون التفسير على هذا النمط ([lv]).
وقد حاول الذهبي تعليل بعض الظواهر في حركة التأريخ لعلم التفسير، من ذلك بيان السبب في امتزاج العلوم وما يتعلق بها من أبحاث بالتفسير حتى طغت عليه، وأرجع ذلك إلى أسباب علمية وأحوال المجتمعات وطبائع البيئات التي تأثر بها المفسرون، فمن ذلك في العلوم الأدبية، ضعف السليقة العربية لاختلاط العرب بالعجم، فاحتيج إلى مزج هذه العلوم بالتفسير لفهم ألفاظ القرآن، والوقوف على بلاغته التي تعد أهم نواحي الإعجاز، وفي العلوم الكونية ما ترجمه العلماء إبان شوكة الإسلام من كتب الفلاسفة فاحتاجوا إلى مزجها بالتفسير؛ لتأييدها، أو الرد عليها([lvi]).
إذن يحاول الذهبي أن يعلل بعض الظواهر في الحركة التاريخية للتأليف في التفسير؛ لإعطاء التصور الواضح والمسوغ المقنع لاصطباغ التفسير بصبغات علمية محددة، يظهر فيها المفسر متأثراً بطبيعة العصر، وأنه على مساس بواقعه آنذاك، ولا شك أن هذا من نوع الاستجابة لحالة العصر، أو وفاء لحاجة المجتمع التي تطلبت نوعاً من هذا المزج العلمي بحركة التفسير والتأويل. ومما يجعل لكلام الذهبي سواغية في القبول أنه تكلم على ذلك بتوسع عند حديثه عن التفسير بالرأي وعند التفسير العلمي.
وفي مجال التطبيق لم يسر مع التفسير مع الزمن، بل عدل إلى التكلم عن التفسير من ناحية الاتجاهات التي اتجه إليها المفسرون في تفاسيرهم؛ وذلك لأن معظم كتب التفسير درست، وليس بالمقدور الحديث عن التفسير في جميع مراحله الزمنية؛ لعدم توفر ما دُرس منها، ولأن ذلك يحتاج وقتاً متسعاً لدراسته كله.
وتبين له أن المفسرين على اختلاف عصورهم يشتركون في نواح واتجاهات؛ فكتب التفسير تتحد في مشربها وتتجه إلى ناحية واحدة من نواحي التفسير المختلفة ([lvii]).

([lii]) ينظر التفسير والمفسرون، 143/1.
([liii]) الطبري أبو جعفر، محمد بن جرير (224– 310هـ) تفسير الطبري دار التربية والتراث مكة المكرمة (90/1).
([liv]) ينظر التفسير والمفسرون، (143/1).
([lv]) ينظر التفسير والمفسرون، (144/1).
([lvi]) ينظر التفسير والمفسرون، (146/1).
([lvii]) ينظر المرجع السابق، (150/1–151).

يذكر كثير من الباحثين في التفسير أن الذهبي يعد من أبرز المؤرخين لعلم التفسير في العصر الحديث، كما يذكر الدكتور محمد رجب بيومي ([lviii]). وصاحب كتاب "دراسات في التفسير وأصوله" في الهامش ([lix]). والدكتور فضل عباس -رحمه الله- ([lx]). ويقول الدكتور عبد القادر صالح: "التفسير والمفسرون"، هذا الكتاب كان بحثاً تفصيلياً لنشأة التفسير وتطوراته ومذاهبه، وفيه درس التفاسير القديمة والحديثة، التي كان آخرها حسب كتابه، تفسير المراغي المتوفى عام 1945م"([lxi]).

أكثر الباحثين في علوم القرآن والتفسير لابد أن يعودوا -كما رأيت- في قضايا التفسير وتاريخه إلى كتاب "التفسير والمفسرون" مثل: الدكتور محي الدين بلتاجي، والدكتور أحمد عبد الغفار، والدكتور أكرم الدليمي، والدكتور محمد يونس، والدكتور الطيار، والدكتور مشاري المطرفي، غيرهم.

المطلب الرابع: بروز الجانب النقدي للمدارس التفسيرية القديمة والحديثة

يمكن القول: إن الحركة النقدية لمصنفات التفسير ظهرت في وقت سابق على عصرنا الحديث؛ إذ لم يغفل الحديث عن المفسرين قديماً وحديثاً ولفت الأنظار إلى بعض ما فيها؛ مما يسجل لها أو عليها، لكن تلك الأحكام النقدية كانت بشكل جزئي أو على شكل حكم كلي على التفسير أو المفسر، لكنه لا يعطي الصورة الوافية والمقنعة التي تكون نتيجة بحث ودراسة معمقين.

ففي "مقدمة في أصول التفسير" لابن تيمية؛ نلحظ التعرض للجوانب النقدية لبعض المصنفات في التفسير على شكل إشارات ولمحات سريعة تستوقف الباحث للنظر والدراسة، ومما تعرض له ابن تيمية في ذلك حكمه على تفسير ابن عطية والزمخشري، وتفسير الصوفية، ونقد تفسير الثعلبي، والواحدي والبغوي ([lxii]).

وممن عرج على نقد بعض كتب التفسير الزركشي في برهانه، حيث نبه على تفسير المتصوفة ومنهم السلمي في حقائق التفسير وأصدر حكماً عاماً حوله يومئ بالابتعاد عنه ([lxiii]).

وممن تناول جانباً من الناحية النقدية أو الوصفية لكتب التفسير؛ السيوطي في مصنفه طبقات المفسرين إلا أن أحكامه النقدية منها ما يشعر بالحكم الجزئي ومنها ما يشعر بالحكم الكلي، وكل ذلك يوجب دراسة المصنفات للوقوف على حقيقة ما ذهب إليه السيوطي موافقة أو مخالفة. فتجده في وصفه لكتاب بقي بن مخلد الأندلسي ينقل كلام ابن حزم فيقول: "أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره ولا تفسير ابن جرير ولا غيره"([lxiv]).

([lviii]) ينظر البيومي، محمد رجب، من اعلام العصر ص80، الدار المصرية اللبنانية، 1417.

([lix]) ينظر البلتاجي، محيي الدين، دراسات في التفسير وأصوله، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1987م، ص120.

([lx]) ينظر عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنديس، ط1، ص17.

([lxi]) صالح، عبد القادر محمد، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، دار المعرفة، بيروت 1424هـ، ص9.

([lxii]) ينظر مقدمة في اصول التفسير، ص51.

([lxiii]) ينظر الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط1،1376هـ-1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (2/ 171).

([lxiv]) السيوطي طبقات المفسرين العشرين تحقيق علي محمد عمر مكتبة وهبة القاهرة ط1،1396، ص41.

وفي كلامه على تفسير عبد الرزاق الرسعني الحنبلي يقول: "وصنف تفسيراً حسناً يروي فيه بأسانيد"([lxv])، وغيرها من الأحكام ([lxvi]).
على أنك تلحظ أن من هذه الأحكام التي يصدرها السيوطي أو يأخذها نقلاً عن غيره، ماهو عام ولم يتضح سببه كقوله في تفسير القشيري: "وصنف التفسير الكبير وهو من أجود التفاسير"([lxvii])، وقريب منه ما صنعه تلميذه الداودي في الطبقات ([lxviii]). على أنه يمكن الرجوع إلى المصنفات التي عنيت بالحديث عن نشأة العلوم وما ألف فيها من نحو "كشف الظنون ومفتاح السعادة"؛ مما أفرد له فيها من حديث عن بعض مؤلفات التفسير، فإنه ظهر فيها تعرضها لبعض مجالات النقد لبعض المصنفات في التفسير، ولكنه ليس بالأمر الذي يشكل جانبا مقنعاً أو كفاية لأخذ الصورة الواضحة المستوعبة التي تنشأ عن البحث والتنقيب والوقوف على قضايا التفسير وأصوله، وإدراك المنهج المفسر من جوانب متنوعة كما هو الحال في كتاب "التفسير والمفسرون" للذهبي، الذي انطلق في مساره النقدي من منطلقات عدة، وقف خلالها على ما لمصنف التفسير وما عليه بما يشكل قناعة وافية للدارس والباحث في مناهج المفسرين. وبهذا يسهم الدكتور الذهبي في تطوير الحركة النقدية لمصنفات التفسير وتعدد أطرها واتساع مجالاتها بما يشهد لكتابه بالأصالة العلمية والإضافة المعرفية المتميزة.
وقد اطلع الدكتور الذهبي على الأحكام النقدية السابقة لبعض كتب التفسير والتي أسلفنا أنها أحكام جزئية أو عامة من نحو كلام ابن خلكان في تفسير الثعلبي: "كان أوحد زمانه في علم التفسير وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير"([lxix]).
وكلام ياقوت في معجم الأدباء عن تفسير الثعلبي أيضاً: "أبو إسحق المقرئ المفسر الواعظ الأديب الثقة الحافظ صاحب التصانيف الجليلة من التفسير الحاوي لأنواع الفرائد من المعاني والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق ووجوه الإعراب والقراءات"([lxx]).
وقول صاحب كشف الظنون في تفسير البغوي: "وهو كتاب متوسط نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم"([lxxi]).

([lxv]) المرجع السابق، ص56.

([lxvi]) ينظر السيوطي طبقات المفسرين، ص67.

([lxvii]) السيوطي طبقات المفسرين، ص74.

([lxviii]) ينظر الداودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية – بيروت 1433.

([lxix]) التفسير والمفسرون (227/1)، وابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الإربلي (ت 681هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1969(79/1).

([lxx]) التفسير والمفسرون (227/2)، والحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المحقق: إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1414هـ (507/2).

([lxxi]) التفسير والمفسرون 232/1 وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني خليفة (ت ١٠٦٧هـ) مكتبة المثنى بغداد، تاريخ النشر: 1941م (2 /1726).

نقول اطلع الذهبي على هذه الأحكام النقدية السابقة، ولكنه لم يأخذها على منحى التسليم بكل ما فيها أو على نحو الموافقة المطلقة، بل أخضعها للفحص والنظر، واستبان ما توفر عليه من المادة العلمية التي تحتاج إلى مراجعة أو إعادة نظر، وبذلك جعل هذه الأحكام على المحك العلمي العملي، وهكذا شأن العلم أن يقوم على البرهان وأن يستند إلى دليل، ذلك أن الأحكام الجاهزة أو السابقة قد يكون فيها شيء من التساهل، أو التسرع، أو طرف من التحامل أو الإنبهار؛ مما لا يقدم تصوراً صحيحاً أو وافياً عن طبيعة التفسير ومنهج صاحبه؛ مما يحوج الباحث إلى بحث علمي ليصار إلى نتائج سليمة وأحكام نقدية مستوفاة وفق النظر الصحيح.

ولنضرب مثلاً على ذلك وهو من جملة أمثلة كثيرة، ففي الكلام على تفسير البغوي يعرض الدكتور الذهبي لكلام ابن تيمية حيث يقول: "والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي لكنه صان تفسيره من الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة"([lxxii]).

في فتاوى ابن تيمية وقد سئل عن الزمخشري والقرطبي والبغوي: "فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي وحذف منه الأحاديث الموضوعة، والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك"([lxxiii]).

وينقل الذهبي كلام الكتاني في الرسالة المستطرفة: "وقد يوجد فيه -يعني معالم التنزيل- من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه أو وضعه"([lxxiv]).

وبعد التدقيق في تفسير البغوي ودراسته يحقق الدكتور في هذه الأحكام ويخرج بنتيجة توافق الكتاني وتخالف ابن تيمية من حكم على هذا التفسير فيقول: "وقد لاحظتُ على هذا التفسير أنه يروي عن الكلبي وغيره من الضعفاء"، ويقول أيضا: "كما وجدته ينقل الخلاف عن السَلَف في التفسير ويذكر الروايات عنهم في ذلك، ولا يُرَجِّح رواية على رواية، ولا يُضَعِّف رواية ويُصحح أخرى"([lxxv]).

ومن الجوانب النقدية التي عني بها الدكتور الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون، الحكم على المفسر والتفسير، ومما يبرز في الجانب النقدي عند الشيخ حكمه النقدي على التفسير والمفسر، وقد أورد الذهبي أمثلة كثيرة يكشف فيها عن منهجية المفسر، وما يؤثر على آرائه من عقائد وأفكار أو بيئات علمية وثقافية مختلفة، ومن الأمثلة على ذلك:

- عندما ناقش حول تفسير القاضي عبد الجبار المعتزلي، فيقول: "وهكذا نجد القاضي عبد الجبار يتأثر تأثراً عظيماً بمذهبه الاعتزالي، فلا يكاد يمر بآية تعارض مذهبه إلا صرفها عن ظاهرها، ومال بها إلى ناحية مذهبه"، وذلك بعد أن أورد أمثلة من كتاب القاضي: "تنزيه القرآن عن المطاعن"، وما فيه من الاعتزاليات الظاهرة في التأويل، ولكنه يعود لينصفه فيقول: "وعلى الجملة، فالكتاب - رغم ما فيه من هذه النزعات الاعتزالية - قد كشف لنا عن كثير من الشبهات التي ترد على ظاهر النظم الكريم، وأوضح لنا عن كثير من جمال

([lxxii]) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، (ص51)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، (5/ 84).

([lxxiii]) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، (ص51)، والتفسير والمفسرون، (169/1).

([lxxiv]) الكتاني، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الشهير الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، ت ابو يعلى البيضاوي المغربي دار الكتب العلمية،2011م، ص271.

([lxxv]) التفسير والمفسرون (1/ 170).

التركيب القرآني الذي ينطوي على البلاغة والإعجاز، مما يشهد لمؤلفه بقوة وغزارة العلم"([lxxvi]).

- وفي حديثه عن المدرسة العقلية وأثرها، ذكر بأن التفسير في هذا العصر يمتاز بأنه يتلون باللون الأدبي الاجتماعي، المواكب للغة العصر، ثم بين الأسلوب الجديد لهذه المدرسة في تطبيق آيات القرآن وربطها بالحياة والعمران ([lxxvii]).
- وفي أثناء حديثه عن التعصب المذهبي، في كتاب: "أحكام القرآن" للكيا الهراسي في قوله: ".. رأيت مذهب الشافعي-رحمه الله وأرضاه- أسدها وأقومها، وأرشدها وأحكمها، حتى كان نظره في كبر آرائه، ومعظم أبحاثه، يترقى عن حد الظن والتخمين، إلى درجة الحق واليقين"([lxxviii]). علق عليه الذهبي بقوله: "وليس أدل على روح التعصب عند المؤلف من مقدمة تفسيره التي يقرر فيها ..."([lxxix]) ثم ذكر كلام الهراسي السابق. وكذا الحال في تفسير ابن العربي المالكي "أحكام القرآن"([lxxx]).

ولذلك بات كثير من الباحثين مطمئناً إلى كلام الذهبي في هذا المقام؛ فيحيل الكلام كاملاً إلى كتاب "التفسير والمفسرون"، إذا أراد الحديث عن منهج مفسر قام بتحقيق تفسيره، أو اشتغل بباب متعلق بهذه العلوم، ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: ما قام به محقق تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل"، حيث يقول في هامش حديثه عن التعريف بالكتاب وطريقة مؤلفه فيه:"اقتبسنا هذا من كلام الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه: "التفسير والمفسرون"([lxxxi]).

ثانياً: إحالة الدكتور محمد أبو شهبة -من المعاصرين للذهبي، وممن كتبوا في هذا العلم- على الذهبي في بيان منهج الخطيب الشربيني ([lxxxii]).

ثالثاً: استناد الدكتور فهد الرومي إلى كتاب الشيخ الذهبي، في كتبه في عدة مواضع، حيث استند إليه في بيان منهج المراغي ([lxxxiii]).

ويقول عند التعريف بكتاب "بيان السعادة في مقامات العبادة"، لسلطان محمد بن حيدر الجنابذي الشيعي: "وقد كنت أنوي الحديث عنه بتفصيل، لولا أن الشيخ محمد حسين الذهبي -

---

([lxxvi]) التفسير والمفسرون (285/1).

([lxxvii]) ينظر التفسير والمفسرون (401/2).

([lxxviii]) الكيا الهراسي، علي بن محمد، أحكام القران، دار الكتب العلمية 1405 هـ (2/1).

([lxxix]) التفسير والمفسرون، (328/2).

([lxxx]) ينظر التفسير والمفسرون (330/2-333).

([lxxxi]) البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي أنوار التنزيل، دار إحياء التراث العربي ت محمد المرعشلي 1418 هـ (12/1).

([lxxxii]) ينظر أبو شهبة، محمد محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، دار الجيل 1425، ص142.

([lxxxiii]) ينظر الرومي، فهد بن عبد الرحمن، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 1423 هـ (192/2،193).

رحمه الله- قد تناوله بتفصيل لا يحتاج إلى مزيد"([lxxxiv]). وفي معرض كلامه حول تفسير الإمامية الاثني عشرية، يقول: "ومأصدق الشيخ محمد حسين الذهبي حين قال: "فغالب ما في كتب الإمامية الاثني عشرية في
تأويل الآيات وتنزيلها وفي ظهر القرآن وبطنه، استخفاف بالقرآن الكريم ولعب بآيات الذكر الحكيم"([lxxxv]).
وعندما أراد الرد على إنكار المدرسة العقلية ورئيسها محمد عبده لسحر النبيﷺ قال: "وقد كفانا مؤنة الرد
على الأستاذ الإمام الشيخ محمد حسين الذهبي"([lxxxvi])، وكذلك قال الشيخ مناع القطان في "مباحث في علوم القرآن": "وتولى الرد عليهما الأستاذ الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون"([lxxxvii]).
ومن الجوانب النقدية التي عني بها الدكتور الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون، نقده المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، وبيانه محاسنها ومآخذها؛ إذ عاصر الشيخ الذهبي نبوغ المدرسة العقلية، والتقى رموزها وعاين أعلامها، وإن لم يدرك الإمام المؤسس لها، فإذا تحدث عنها فهو كلام الناقد الخبير، حيث تكلم في خاتمة كتابه عن هذه المدرسة ورموزها ومنهجها ومحاسنها وعيوبها، بأمور منها([lxxxviii]):
أولاً: أثنى على رموزها ورجالها، وأشار إلى المجهود الكبير الذي قاموا به في التفسير.
ثانياً: أشار إلى بعدها عن التقليد الجامد، والتأثر المذهبي، فلم تقع فيما وقع فيه الذين تأثروا بالمذهب وحاولوا جعل القرآن تابعاً له.
ثالثاً: نبه إلى بعد هذه المدرسة عن الإسرائيليات وتجنبها لها.
رابعاً: أشاد بخلو تفسيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي ملأت كتب التفسير.
خامساً: عدم الخوض في الأمور الغيبية، ولا في تعيين ما أبهمه القرآن.
سادساً: الإشارة إلى جديد ما أضافته هذه المدرسة، وهو المنهج الأدبي، الذي اهتم بإعجاز القرآن، وبيان مراميه وهداياته، وعلاجه مشكلات الناس في كل زمان، ومسايرته للعلم والتطور، ودفع الشبهات.
سابعاً: تقديم العقل على النقل، وبالتالي أوّلت حقائق شرعية دون دليل ظاهر.
ثامناً: نبه إلى قضية التشابه مع المعتزلة، في مجاراتها في بعض تعاليمها وعقائدها.
تاسعاً: ردت كثيراً من الأحاديث الصحيحة بحجة أنها آحاد، في باب العقائد خاصة.

([lxxxiv]) المرجع السابق (238/1).
([lxxxv]) المرجع السابق (235/1)، والتفسير والمفسرون (32/2).
([lxxxvi]) الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (767/2).
([lxxxvii]) القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421، ص371.
([lxxxviii]) ينظر التفسير والمفسرون (401/2-416).

ولابد من الإشارة هنا إلى ما نبه الذهبي إليه، في منهج هذه المدرسة، وهي وظيفة التفسير في حل مشكلات الواقع، والتفاعل مع المجتمع، وتفعيل الهدايات القرآنية لإصلاح الفرد والأمة([lxxxix]).

المبحث الثاني: القيمة العلمية لكتاب التفسير والمفسرون
إن ما يبرز القيمة العلمية لكتاب ما هو أثره في الباب الذي كتب فيه، وثناء المختصين من العلماء، وما فيه من جدة علمية، وكل ذلك قد حازه كتاب "التفسير والمفسرون".
ومن جملة تلك الأمور التي تبرز هذه القيمة العلمية ما وقع في المطالب التالية:
المطلب الاول: شهادات الباحثين والمهتمين بمناهج المفسرين؛ إذ ترى الثناء البالغ والإعجاب الواضح بما قدمه الذهبي في هذا الكتاب؛ مما وجه الأنظار من خلاله لمراعاة أحوال هذا العلم ومتابعة مسائله وقضاياه.
فمن ذلك قول الأستاذ غانم قدوري: "أوسع كتاب في اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين؛ كتاب "التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي"([xc]).
ومن الذين أثنوا على هذا الكتاب ثلة من العلماء على مستوى مصر كلها، كما جاء في الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة المتخصصين في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر في التعريف بالذهبي قولهم: "أستاذ العصر بلا منازع في مجال مناهج المفسرين، وهو أستاذ أساتذتنا، حيث نص صراحة في سفره القيم التفسير والمفسرون..."([xci]).
وسبق عرضنا لشهادة أهل الحديث؛ إذ يثبتون اسم الذهبي في مصاف العلماء الكبار في العصر الحديث، حيث يقولون: "ووجد فيها كبار العلماء من الأزهر وغيرهم من أمثال الشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ محمد حسين الذهبي... وغيرهم من العلماء"([xcii]).
ولا شك أن تزكية الشيخ تزكية لكتابه على الغالب في أحوال العلماء، وهو ما يثبت معارضته في العلم، واقتداره في معرفة علم الحديث والتفسير معاً. وعلى هذا فإن هذا الكتاب يعد - بحق - مرجعاً لا غنى عنه في باب مناهج المفسرين "قلَّما تجد باحثاً في هذا المجال إلا ويرجع إلى هذا الكتاب ويستفيد منه"([xciii])؛ بل عد ظهوره في الأوساط العلمية أمراً ذا شأن علمي كبير، وجه الأنظار إليه فكان حديث الأوساط العلمية انبهاراً وإعجاباً حيث قال بعضهم: "يعد الكتاب بحق من الكتب الهامة جداً في المكتبة القرآنية فقد كان ظهوره حدثاً علمياً كبيراً عند العلماء، أشاد به العديد منهم حينذاك في الصحف والمجلات وكتب عنه الكثير"([xciv]).

([lxxxix]) ينظر التفسير والمفسرون (2/401-402).
([xc]) قدوري، غانم، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، ط1، 1423-2003م، ص187.
([xci]) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مصر، 2002م.
([xcii]) المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أعضاء ملتقى أهل الحديث، ص187.
([xciii]) الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (1/11).
([xciv]) الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، ملتقى أهل التفسير. التعريف بكتاب (التفسير والمفسرون) https://mtafsir.net/forum.

المطلب الثاني: الجدة العلمية في طرح الموضوعات في كتاب "التفسير والمفسرون":
إن مسالة الإبداع والجدة في طرح الموضوعات أمر منشود في البحث العلمي، قال ابن العربي: "ولا ينبغي لحصيف يتصدى للتصنيف أن يعدل عن غرضين؛ إما أن يخترع معنىً أو يبتدع وصفاً ومتناً حسبما قررناه في قانون التأويل"([xcv]). ومن الأمثلة الدالة على الجدة العلمية في طرح الموضوعات في مجال التفسير وأصوله الإطار النظري لموضوع الإسرائيليات تأصيلاً ونقداً، وما دار من نقاش حول أقطابها، ومسألة الدفاع عن الصحابة فيما اتهموا فيه من الأخذ عن الإسرائيليات؛ إذ نجد تفصيلاً وتحقيقاً علمياً بالغ الأهمية في بابه مما يعد فيه الذهبي مرجعاً لا يستغنى عنه لدارس المناهج التفسيرية على الإطلاق ([xcvi]).
ونجد كذلك النظرات الجديدة في تناول مسائل في مناهج المفسرين، ومن ذلك عقده مبحثاً مهماً لم ينبه عليه من قبله، وهو اللون الشخصي في التفسير بالمأثور، حيث أظهر أن جانب التفسير بالمأثور لا يقتضي بالضرورة إلغاء شخصية المفسر ([xcvii]). ومن جديد البحث في المناهج التفسيرية عند الذهبي ملاحظة التطابق بين مقدمة المصنف وتفسيره من خلال الوقوف على الأمثلة التي تثبت تلك المطابقة ([xcviii]). على أنه ينبغي أن ينبه ههنا إلى أن من الجدة العلمية ملاحظة الدكتور الذهبي، ما يحتاج إليه التراث التفسيري من خدمة علمية، حيث وضع يده على الثغرة التي تحتاج إلى أن تسد في هذا الباب، ألا وهي تنقية الموروث التفسيري مما علق به من شائبات، وأرشد إلى عمل علمي يقوم به فريق من العلماء في ذلك ([xcix]).
ومن الموضوعات التي تظهر الجدة عند الذهبي رده على الشبهات، التي تتعلق بالتفسير وخاصة ما يتعلق بنشأة التفسير ومراحله الأولى، ومن هذه الشبهات:
- شبهة أخذ ابن عباس التفسير عن أهل الكتاب، ومن أشهر هؤلاء المستشرقين: "جولد زيهر" صاحب كتاب "مذاهب التفسير الاسلامي"، وقد تولى علماء الإسلام الرد عليه وعلى أمثاله- مثل: "أحمد أمين"- الذي تبع زيهر في التهجم على كعب الأحبار، وفي الطعن بابن عباس بأخذه بروايات أهل الكتاب.
- وفي الكلام على التفسير المنسوب لابن عباس فقد أتى عليه من أصوله، من رواته، وأثبت أنهم ممن لا يعتد بروايتهم، وساق الأسانيد وأثبت ضعفها.
وقد توسع الدكتور الذهبي ببسط طرق الرواية التسع الواردة عن ابن عباس وبين صحيحها من ضعيفها([c]).
وغيرها من الشبهات التي رد عليها رداً علمياً بالغاً ينم عن إحاطة بالعلوم الشرعية ([ci]).

([xcv]) ابن العربي، مرجع سابق، (4/1). وينظر العلموي، مرجع سابق، ص167.
([xcvi]) ينظر التفسير والمفسرون (165/1-200).
([xcvii]) ينظر التفسير والمفسرون (155/1).
([xcviii]) انظر التفسير والمفسرون" (250/1).
([xcix]) ينظر التفسير والمفسرون،(203/1).
([c]) ينظر المرجع السابق،(59/1-62).
([ci]) ينظر المرجع السابق،(62/1و82).

لذلك تجد بعض الباحثين في علوم القرآن، قد أحالوا على ردود الذهبي، ونبهوا أن الذهبي قد كفاهم المؤونة في ذلك الجانب، فمن هؤلاء: الشيخ مناع القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن ([cii])، ومنهم عبد الجواد محمد خلف عبد الجواد، صاحب كتاب "مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن"([ciii]) وغيرهما.

المطلب الثالث: أثر كتاب "التفسير والمفسرون" فيمن جاء بعده: تأثر كثير من الباحثين والعلماء بآراء الذهبي فيما يتعلق بأصول التفسير ومناهج المفسرين، وقد ظهر ذلك التأثر في نقل آرائه، أو تلخيصها، أو اختصارها، أو محاكاة أسلوبه، أو تعقبه في بعض آرائه وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: موقف الناقل المتأثر: وهذا كثير جداً، فمن ذلك:

- قول الدكتور "مناع القطان" حيث يقول: "راجع هذا البحث بالتفصيل في كتاب"التفسير والمفسرون" للأستاذ محمد حسين الذهبي"([civ]).
- وعبارة عبد المنعم النمر: "ومن أراد أن يستزيد.. فيمكنه أن يراجع كتاب "التفسير والمفسرون" للدكتور الذهبي، فقد ذكر هذه الكتب على صورة مرتبة منسقة تسهل مراجعتها"([cv]).
- في "موسوعة التفسير المأثور": ينظر كتاب التفسير والمفسرون، للدكتور الذهبي رحمه الله، ولعله من أوائل من استعمل هذا المصطلح في تاريخ التفسير، وتبعه عليه عدد من الباحثين"([cvi]).

ومنها إحالة الدكتور فضل عباس إلى كتاب الذهبي فيقول: "تراجع هذه المسألة في كتاب التفسير والمفسرون للأستاذ الذهبي، حيث ذكرها هناك مستوفاة"([cvii]).

- وفي موضوع علاقة السنة بالقرآن، يحيل الدكتور نور الدين عتر، في تلخيصها إلى كتاب الذهبي أيضاً، فيقول: "وانظر بيان ذلك في كتاب "التفسير والمفسرون" للأستاذ الدكتور الذهبي"([cviii]).

ونقل الدكتور فهد الرومي كلام الذهبي في نقد كتاب "جواهر القرآن" لطنطاوي جوهري ([cix]).

الفرع الثاني: موقف الناقد المتعقب:

- تعقبات الدكتور "إبراهيم خليفة" على بعض مسائل الكتاب منها: نقد كلام الذهبي في إشارته، إن

([cii]) ينظر القطان، مناع خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، ط3، 2000م، ص 371.

([ciii]) ينظر عبد الجواد، عبد الجواد خلف محمد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، دار البيان العربي، القاهرة،2003م(76-107).

([civ]) القطان، مناع خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ- 2000م ص 344.

([cv]) النمر، عبد المنعم، علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ص105.

([cvi]) الطيار وآخرون، مساعد سليمان، موسوعة التفسير المأثور، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، (221/1).

([cvii]) عباس، فضل حسن، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، (133/1).

([cviii]) عتر، نور الدين، النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، سورية، ط3، 1981م، (61/ 22).

([cix]) ينظر الرومي، اتجاهات.. (674/2).

الخلاف بين المجيزين والمانعين للتفسير بالرأي خلاف شكلي ([cx]).
- تعقبات الدكتور "فضل عباس" منها، يقول: "لم يستوعب الشيخ الحديث عن التفسير في العصر الحديث، وكل ما ذكره شذرات قليلة ليس فيها كثير غناء"([cxi]). وغيرها من المسائل التي ناقشها.
- ما ناقشه أصحاب "موسوعة التفسير المأثور" حول ما يدخل في أنواع التفسير المأثور ([cxii]).
- تعقبات محمد ابراهيم الشريف ([cxiii])، وغيرهم كثير، ممن خالفوا الذهبي وعقبوا عليه.
الفرع الثالث: موقف الملخص المختصر: هو منهج التلخيص والاختصار، وممن قام بذلك من الباحثين:
- البلالي، في كتابه "المختصر المصون"، حيث لخص كتاب الذهبي في90 صفحة، فهو اختصار شديد([cxiv]).
- محمد أبو زيد، حيث اختصر من جهة ووضع بعض الملاحظات من جهة أخرى، يقول في المقدمة:
"فقمت بتأليف هذا المختصر الذي يسهل الرجوع لهذا الكتاب مع تقديم خدمات كثيرة له تجعله أكثر فائدة، وقد كتب الله القبول لهذا المختصر"([cxv]).
- وكتاب ثالث ذلكم هو "خلاصة مناهج المفسرين في اختصار وترتيب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي" لأماني حكمي، الذي خدم "التفسير والمفسرون" باختصار وترتيب على شكل جداول وبألوان زاهية ([cxvi]).
وأرى أن كتاب الدكتور محمد أبو زيد أجود الاختصارات الثلاثة.
الفرع الرابع: موقف المحاكي له أو المتوسع في باب منه:
نص الذهبي على أن مباحث هذا العلم تحتاج إلى تفصيل أكثر وجهد أوسع، وكل موضوع يصلح أن يكون كتاباً مستقلاً موسعاً مسهباً ([cxvii]). وكان لكثير من الدارسين المعاصرين صفة المحاكين لكتابه اسماً وتقسيماً على أكثر أبوابه، وكان له قدم السبق في هذا العلم العظيم، يظهر فيها التأثر الواضح بجهد الدكتور الذهبي في مناهج المفسرين؛ إذ انتحت سمت الدكتور الذهبي في دراسة المناهج، وأبرزت القيمة العلمية للتفسير على طريقة الذهبي ونهجه في الأحكام النقدية. فمنها: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا للطرهوني، والتفسير والمفسرون في العصر الحديث لعبد القادر صالح، ودراسات في أصول التفسير لمحسن عبد الحميد، ولمحمد

([cx]) ينظر التفسير والمفسرون، ص264، ودراسات في مناهج المفسرين ص73و218 وغيرها.
([cxi]) عباس، فضل،التفسير والمفسرون في العصر الحديث (1/ 16).
([cxii]) الطيار وآخر، موسوعة التفسير المأثور، (1/107-108).
([cxiii]) الشريف، محمد ابراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القران الكريم في مصر، دار العلوم 1399-ص106.
([cxiv]) ينظر البلالي, عبد الحميد، المختصر المصون، دار الدعوة، الكويت، 1985.
([cxv]) ابو زيد، مناهج المفسرين، ص7. وقد طبع هذا المختصر أكثر من ثمان طبعات كما يذكر المؤلف في الموقع الرسمي.
([cxvi]) ينظر خلاصة مناهج المفسرين في اختصار وترتيب التفسير والمفسرون.
([cxvii]) ينظر التفسير والمفسرون (2/ 448).

يونس، دراسات في التفسير ورجاله أبو اليقظان الجبوري، وبغية الدارسين علي حسن رضوان، دراسات في التفسير محمد بلتاجي، ودراسات مقارنة في التفاسير المعاصرة لعبد القهار العاني، تطور تفسير القرآن محسن عبد الحميد، منهج السمين الحلبي عيسى الدريبي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير فهد الرومي، واتجاهات التفسير في العصر الحديث عبد المجيد المحتسب، مناهج في التفسير مصطفى الجويني، والتفسير بالمأثور ومناهج المفسرين فيه للحديدي، وتطور تفسير القرآن، والتيسير في أصول واتجاهات التفسير، لعماد علي عبد السميع، و ملامح التنوير فى مناهج التفسير لمحمود عزب وغيرها كثير.

وبعد كل هذا فإنا نرى أن كثرة العناية بالكتاب تحليلاً أو اختصاراً أو تاثراً بآرائه نقلاً أو التعرض لبعضها نقداً، لهي دلالة على قوة الكتاب العلمية ورصانته وألمعية مؤلفه.

الخاتمة:

برزت الأصالة العلمية في كتاب التفسير والمفسرون للذهبي في نواح متعددة ومجالات عديدة يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: الجدة العلمية في طرح المسائل والتعرض لقضايا علمية لم يتعرض لها من سبقه من العلماء من نحو؛ ذكر مميزات المدارس التفسيرية في عهد الصحابة، ومميزات تفسير التابعين، ومحاولات الجمع بين الآراء المتنازعة التي أخذت بعداً علمياً أو جدلاً علمياً كالخلاف بين المجيزين والمانعين للتفسير بالرأي، والاختلاف بالقدر الذي فسره رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من القرآن.

ثانياً: البعد النقدي وتطوير الحركة النقدية في الموروث التفسيري واتساع نطاق البحث فيه.

ثالثاً: السبق العلمي والأولية الزمانية والموضوعية في مناهج المفسرين، والتأطير والتأصيل النظري لمسائل وموضوعات في أصول التفسير ومناهجه.

رابعاً: الموسوعية والاستيعاب لكثير من اتجاهات التفسير وفق مراحل زمنية متعددة؛ لإعطاء فكرة واضحة حول تطور البحث في جانب التفسير، ومعرفة مراحله وخطواته التي خطاها عبر سيره.

خامساً: بيان الخطة العامة التي يختطها من يتجه لبيان منهج مفسر ما؛ بما يكشف أسلوبه وتطبيقاته لأصول التفسير، وملاحظة مدى التطابق بين الخطة النظرية العامة للمفسر والجانب التطبيقي.

سادساً: حقق الذهبي في مسائل علمية متعددة في كتابه بما يتصل بالجوانب النظرية في التفسير وأصوله، وبما يتصل بالواقع العملي لكتاب التفسير الذي هو بصدد بيان منهجه.

سابعاً: كان لكتاب الذهبي أثر كبير فيمن جاء بعده من العلماء والباحثين، بما يكشف عن ثروة علمية مهمة، لا غنى للباحث في مناهج المفسرين عنها.